« قل لى رأيك فى الترجمة ، أقول لك من أنت »

هيدجر

ترجمة إدريس كثير

مسألة الترجمة، مسألة الروح

المسألة ليست هى مسألة الروح[١]، وإن كانت تعنيها، وإنما هي مسألة الترجمة Ubersutzung، ترجمة كلمة Ggeist الألمانية إلى الفرنسية وصعوبة القيام بذلك، ثم ترجمتها إلى العربية بالتالى. الترجمة كموضوع فلسفى، كاهتمام فلسفى يؤثث فضاء كل ثقافة؛ تلك هي المسألة. فما الترجمة؟ وهل هي عملية ممكنة؟ وما ضرورتها؟ وكيف يمكن التفكير فلسفيا أي ميتافيزيقيا فيها ؟

« حينما يتعلق الأمر بأسئلة كهذه، يلزمنا أن نتوقف عند حدود الكلمة. أكيد أنه من غير الصحيح أن يوجد الشيء دائما هناك حيث توجد الكلمة. لكن يجوز لنا أن نطرح هذه الفرضية بدون خوف »[٢].

بصدد كلمة « ترجم »، نعثر فى لسان العرب على ما يلي: الترُّجمان والترَّجمان هو المفسر للسان. وفى حديث هرقل قال لترجمانه: الترجمان بالضم والفتح هو الذى يترجم الكلام أى ينقله من لغة إلى أخرى. والجمع تراجم، التاء والنون زائدتان، وقد ترجمه وترجم عنه. وترجمان هو من المثل التي لم يذكرها سيبويه، قال ابن جني: أما ترجمان فقد حكيت فيه ترجمان بضم أوله، ومثاله فعللان كعترفان ودحمسان. وكذلك التاء فيمن فتحها أصلية، وإن لم يكن فى الكلام مثل جعفر، لأنه يجوز من الأمثلة ما لولاهما لم يجز، كعنفوان وخنديان وريهفان. ألا ترى أنه ليس فى الكلام فعلو ولا فعلن ولا فعل؟[٣].

لنؤجل الكلام عن اللسان العربي ولنعط الكلمة للسان آخر. يقول بلانشو:« كل كتاب حتى وإن كان شذريا، يملك مركزا ينجذب نحوه. فهو مركز غير قار، يتحرك بسبب ضغط الكتاب وظروف تأليفه. وهو مركز قار، وإن تحرك يبقى هو نفسه ويغدو أكثر مركزية وأكثر ترددا وأكثر صرامة »[٤]. هذا المركز يبدو لنا بارزا لدى دريدا فى كتابه:« هايدجر والقضية »، خصوصا عندما سيؤكد قائلا:« بما أننا لا نتحدث منذ بداية هذه المحاضرة إلا عن ترجمة هذه الأفكار [..] يمكننا ملاحظة أن فكرة Ggeschlecht وفكرة الترجمة يشكلان شيئا واحدا ». وسيتابع قائلا: « إننى أنوي الحديث معكم عن الترجمة »[٥].

ماذا يقول لنا دريدا عن الترجمة؟ كيف يفكر فى مفهوم جديد لها؟ وكيف يجب علينا أن نفكر بدورنا فى هذا المفهوم؟.

يتأمل دريدا – وهذا ما يثير الاندهاش – مفهوم الترجمة، دون أن يعلن عن هذا الأخير كتيمته أو كموضوعته. يتأمله من خلال كلمة Ggeist الألمانية لدى هايدجر. فهو يتحدث عن الترجمة دون أن يشير إليها. وهذا ما يسمح بالقول إن دريدا يكتب بيدين: تمحو الواحدة ما تكتبه الأخرى. وتبقى الترجمة سيدة الميدان من خلال هذه الثنائية: تتبع لفظة Ggeist ومعانيها، والحرص على ترجمتها أو اقتفاء أثرها. وإذا ما تتبعنا واقتفينا أثر كلمة ترجمة Ttraduction كما وردت في نصوص دريدا، فسنلاحظ لا محالة خطا تصاعديا رغم دورانه، تتصاعد من خلال كل تصورات دريدا حول مفهوم جديد للترجمة. فهو فى غالب الأحيان، يعتبرها مستحيلة وخطيرة ومتعذرة، يلجأ إليها المرء اضطرارا ونزولا عند إكراهات عدة. ألا يمكن تجنبها إذن؟ فى الحقيقة، لا يمكن الانزياح عنها حتى وإن حاولنا تعويض ذلك بكتابة خاصة، بالدرجة القصوى للكتابة التي تشير إلى أشكال عدة من فعل التجنب: «أفكر على الخصوص فى كل هذه الأشكال التى تفيد التجنب. فهي تقول الشيء دون أن تقوله، تكتب دون أن تكتب، تضع الكلمات بين مزدوجتين دون أن تضعها، تضعها تحت شطب غير سالب مثل الصليب. أو أيضا في قضايا من النوع الذي يعبر عنه كما يلي: [لو حصل لي أن أكتب مرة في الثيولوجيا، كما يخطر ببالي في بعض الأحيان، فإن كلمة وجود Etre تتاح لها فرصة الظهور] » [٦].

إن المزدوجتين والأقواس وكل العلامات المشابهة، تكتب بطريقة غير مباشرة وصامتة، ما لا يمكن أن يكتبه الخطاب القديم: الكتابة العادية أو الترجمة العادية[٧].

وبالطريقة نفسها تعامل هايدجر مع كلمة Geist، حيث وضعها ولمدة طويلة بين مزدوجتين وضمن حراستها باللعب المزدوج للمزدوجتين في لغته الألمانية: « ذلك أن كلمة المزدوجتين Aufuhrun، تعني قاد وساق وتقدم وكان في المقدمة، كما تعني خدع وهزأ وملأ رأس شخص ما »[٨].

إذا كان من غير الممكن تجنب الترجمة وتحاشيها لهذه الأسباب، فلابد من وجود أمرين ملازمين لها وهما: عنف الترجمة أو التأويل، يقول هايدجر:« لأجل إدراك ما وراء الكلمات ودلالاتها، لابد للتأويل من أن يستعمل العنف. لكن لا يجب خلط هذا الأخير بالاعتباطية الخرقاء. على التأويل أن ينشط ويقاد بقوة فكرة ملهمة [روحية]، فقوة هذه الفكرة هي التي تسمح للمؤول بأن يغامر بالثقة في الانهمار السري لعمل ما، قصد التمسك بما لا يعبر عنه، محاولا العثور على التعبير المناسب. هكذا تتأكد الفكرة الموجهة نفسها بفعل قوة إضاءتها »[٩].

العنف المقصود هنا هو عنف التأويل وعنف الشرح: فليس بقارئ من لا يضع نفسه داخل ما يقرأ. ويذكرنا هذا الأمر بقراءة ابن رشد لأرسطو:« لم يكن هدف ابن رشد الدفاع عن أرسطو [في شروحه عليه]، في كل الأحوال، بل لقد كان هدفه منحصرا في الحصول على فهم حقيقي لآراء أرسطو. وفي محاولته هذه تبرز حقا أصالة ابن رشد. فكثيرة هي الأفكار التي يبتكرها وينسبها صراحة أو ضمنا لأرسطو، لا

لكون المعلم الأول قال بها، بل لأن سياق المنظومة الأرسطية يحتمل القول بها من جهة، ولأنها تقرب المنظور الأرسطي إلى المنظور الإسلامي من جهة أخرى. إن هناك فعلا فلسفة رشدية خاصة وأصيلة داخل شروحه على أرسطو، فلسفة جديرة حقا بهذا الاسم. إسلامية جديرة بهذا الوصف »[١٠].

لقد كان ابن رشد يمحو ما يبدو له غير ملائم للسانه ولدينه، ويبحث عن فجوات تسمح له بالتدخل والانغمار في ما ينسب إلى فلسفة المعلم الأول. وهذا الولوج الفلسفي هو ما يمكن أن نطلق عليه اسم الفسحة: « ليست الفسحة فرجة أو بونا أو فضاء بين اثنين، إنها عملية أو حركة تباعد، انفراج، توسيع وتفريق »[١١].

إن القصد من وراء هذه العملية هو إبطال كل تماه مع الذات، هو تحقيق التباعد عنها وإقصاء لهيمنتها. وهذا الأمر صحيح ومطلوب داخل اللسان الواحد، لكن في ما بين الألسن، سيغدو التباعد عن الآخر وليس عن الذات، وإقصاء هيمنة الآخر وليس الذات فقط. ولا يمكننا والحالة هذه أن نبعد الترجمة عن الفسحة بأي وجه كان. فإذا كانت الترجمة فسحة، فإن أحد شروط هذا التباعد الذي أشرنا إليه، يتم من خلال الإنصات العميق للغة، ذلك الإنصات الذي مارسه هايدجر حين حاول تأويل البيت الشعري التالي:

« أجل فالروح شيء غريب على الأرض »[١٢].

فهايدجر لم يهتم بالموقف الأفلاطوني من تيهان وغربة الروح في العالم السفلي، بقدر ما أول اللغة الألمانية واستمع إلى ثناياها. فالروح ليست غريبة وإنما تتجه في طريقها نحو الأرض. لذلك يمكن القول بأن هايدجر « يترجم حسب لغته بالضبط »[١٣].

وهو نفس الإنصات الذي قام به ابن رشد في شروحه [أي ترجمته] على أرسطو. كما أنه بمثابة الشرط والمطلب اللذين يجب أن يتحكما في مفهوم الترجمة لدينا حاليا. وإذا ما كانت الترجمة هي نقل واستبدال الدال من لغة إلى أخرى، مع المحافظة على المدلول، أي استبدال الأصوات أو الفونيمات، مع المحافظة على التصورات الذهنية، كما يقر دوسوسير، فإلى أي حد تحفظ الترجمة فعليا على المدلول نفسه؟ أليس اختلاف الألسن هو أيضا اختلاف للمدلولات؟.

سيلاحظ دريدا بهذا الصدد، على أن هناك مستويان في الترجمة: الترجمة الحرفية التي ينصب جهدها على نسخ لغة النص الأصلي، والترجمة المؤولة التي تعيد صياغته في نسيج يروم احترام طبيعة اللغة المستقبلة.« إن هذه اللغة الثالثة تسعى إلى فرض غرابة النص المترجم على اللغة المترجم إليها. فهي إذن ترجمة عدوانية تنصب بالتأشير على مواقع القوة في النص المترجم، أي في المواقع التي يقوم فيها بقسر لغته ومجافاتها بالإضافة إليها، ومن ثمة إلى إحداث العمل نفسه في اللغة المستقبلة »[١٤].

إن المترجم حينما يفكر، فهو يقوم بذلك من خلال لغتين أو أكثر، حيث ينتقل من الأولى إلى الثانية مرورا بالثالثة ربما. وينطبق هذا الأمر على دريدا نفسه، الذي كان يفكر من خلال ثلاث لغات: واحدة يكتب بها نصوصه والثانية يتكلم بها، أما الثالثة فتشكل منطلق تأملاته وأبحاثه وترجماته. يقول في هذا الصدد: « كنت أعرف بأنه يجب علي

أن أنطق بلسان إنجليزي، النص الذي كتبته بالفرنسية، انطلاقا من نص قرأته بالألمانية »[١٥].

لذا فالترجمة لا تتم عبر لغة واحدة بل عبر أكثر من لغة، إنها تفكير وتأمل داخل اللغات وبتلك اللغات. إنها لعب بالكلمات، يصعب فيه حصر المفردات المتعددة المعاني. إذن فالمدلول اللغوي لابد له من أن يتأثر بهذا التعدد وهذا التباين الحاصل بين اللغات في تراكيبها وفي روحها. ولا يمكن لأي ترجمة أن تغدو ممكنة، بدون الاختلاف الحاصل بين الدال والمدلول. وفي أفق ترجمانية شفافة، خالصة وأحادية المعنى، تم تشكيل تيمة « المدلول المتعالي ». وحتى في الحدود التي تكون فيها الترجمة ممكنة، أو تبدو ممكنة، فإنها ليست كذلك بما فيه الكفاية.« لذا يجب استبدال مفهوم الترجمة بمفهوم التحويل، وهو تحويل مقنن من لغة إلى أخرى ومن نص إلى آخر. إننا لم نعرف أبدا – ولن يحصل ذلك في المستقبل – أي نقل لمدلول خالص تركته أداة – أو حاملة – الدال بكرا، ولم تتم مباشرته من لغة إلى أخرى أو داخل اللغة ذاتها »[١٦].

هكذا يغور المعنى داخل ثنايا الكلمات والمفردات وداخل ثنايا اللغات. فمن ثني الدال والمدلول إلى ثني الألسن، تبدو الترجمة كبيان للشيء. ثني مدلول لغة في دال لغة أخرى، ثني الثني على أن يبقى جوهر اللسان ضامرا، وبالتالي إزاحة ذلك الغشاء الرهيف الذي يكسو كل لسان ويثنيه في عقدته. إن الترجمة هي انبثاق وكشف هذه الثنايا، هي لعب في خضم ثنايا الكلمات، لعب قد يتيه فى متاهة تعدد اللغات ومعانيها وتشتتها. والمترجم هو من يطوي مسافات الكلمات داخل اللغة الواحدة من جهة. وبين اللغات في ما بينها من جهة ثانية. وهو متيقن بأنه قطع المسافة بالوضوح الكامل والممكن المطلوب. لأن تلك المسافة لن تكون مسافة ولا فضاء يمكن ذرعه؛ إلا بالعبور عبر الكلمات العابرة.« فالقول هو المسيطرة داخل الثني من حيث إنه ينادي ويطلب الظهور »[١٧].

الترجمة إذن هي ثني الكلمات عن الإفصاح عن مضمونها؛ إن كان لها مضمون واحد وقار. إنها، يقول دريدا: « تقدم بصيغه سابقة للأوان، معلنة عما سيأتي، شبه تنبؤية، ليست حاضرة أبدا داخل هذا التقديم. وتحضرنا بالمناسبة، الطريقة التي كان الفيلسوف كانط يحدد من خلالها أحيانا العلاقة مع ما هو متسام. إنه تقديم غير ملائم لما يقدم نفسه باعتباره كذلك »[١٨].

لنتأمل في الأمر جيدا « إن مسألة المضمون هذه تستدعى المعنى »[١٩]. وهو المضمون الذي يجب بلوغه وتحقيقه في الترجمة فهل نستطيع لم شتات المعني، بل المعانى، من لغة إلى أخرى حين نترجم وننقل؟ يبدو أن في الأمر تعقيدا يشير إليه دريدا بقوله:« بدأت الأمور تتعقد، وذلك لأن معنى كلمة « معنى » نفسها بدا غير قابل للترجمة. فقيمة المعنى هذه المرتبطة بلسان ما، والمتحكمة كليا فى المفهوم التلقيدى للترجمة، تجد نفسها متجذرة في لغة ما، في عائلة ما، أو Gesctlecht من اللغات، تفقد معه معناها الأصلي خارج تلك العائلة »[٢٠]. وتتحكم في المعنى عدة عوامل منها: اللغة المقصودة فى حد ذاتها، « روحها »، أسلوبها، بلاغتها، استعمالاتها، بنيتها اللاشعورية .. إلخ. حتى نبقى في حدود الإشارة فقط إلى تشتت المعنى وصعوبة جمعه ولمه. إذ يصعب جمع شتات المعنى، لأنه قابل دوما للتحطيم سواء بواسطة قنوات النقل كالذاكرة، أو بواسطة التقليد الثقافي العام.

إن المعنى هو ذلك « المجال الغريب » حسب

فرويد، الذي يجب إبرازه وإخراجه. فهو ينفلت دوما من قبضه الإدراك الممتلئ والكامل؛ ويضطرب بفعل الأخطاء والزلات الممكنة، كالنسيان وفلتات اللسان.

فهل هناك من وسيلة للإمساك بهذا المعنى الزئبقي؟ إن الوسيلة التي تحضر هنا هي التأويل، تلك العملية التي تهتم ببنية معنى النصوص بطريقة مزدوجة. فهى من جهة « تحلل اللغة وتبحث سيكلوجيا في الترابطات العلية »[٢١]. ومن جهة ثانية، فإن التأويل السيكلوجي يهتم بالترابطات الرمزية التي يتوهم المرء من خلالها ذاته ويبني تصورات خاصة عنها. ولتجاوز هذا الوهم، أو على الأقل لإبرازه كما هو، لا بد من فهم التأويل باعتباره ترجمة « لنمط من التعبير الغريب عنا إلي تعبير مألوف لدي فكرنا » حسب تعبير فرويد، الذي سيؤكد ما يلي:« يجب أن تشد انتباهنا عملية تحويل [ترجمة] أفكار الحلم الثاوية إلى مضمونها الظاهر، لأنها المثال الأول المعروف للطريقة التي تنتقل بها المادة السيكلوجية من شكل تعبيري إلى شكل تعبيري آخر، أو لنقل، من شكل تعبير معقول إلي آخر لا نصل إلي معقوليته إلا بعمل منهجي، مع الاعتراف بأنه لا يشكل هو الآخر إلا نتاجا لفعاليتنا السيكلوجية »[٢٢].

لو استبدلنا كلمة « تحويل » الواردة في نص فرويد بكلمة « ترجمة »، لما حصل أي اضطراب فى بناء ذلك النص. عملية « التحويل » هي الترجمة إذن، وهذا الاقتراح الدريدي متأثر كما هو واضح بفرويد من جهة، وباللغة الألمانية من جهه أخرى. لأن التحويل المقصود كعمل منهجي، ما هو إلا محاولة لبناء المحتويات الغامضة، وملء الفجوات والبياضات ومحو التناقضات. وهذا العمل التأويلي هو ما يسميه هابرماس « البحث لا فقط عن معنى نص تم تشويهه، وإنما البحث أيضا عن معنى التشويه الذي لحق بذلك النص »[٢٣]. فالتأويل إذن هو ترجمة اللاشعور إلي الشعور، من خلال عملية حفرية تفتح المجال للذكريات الموصودة كي تظهر في فضاء الوعي.

إن فك الحصار هذا لا يتم بدون مقاومة، بل إن الذات برمتها عبارة عن مقاومة وتمويه. من هنا عنف التأويل أي عنف الترجمة المشار إليه سابقا. وما دامت الذات تستدعي عبر الحلم صيغا خاصة للتعبير، مثل الاستعارة والمجاز والتشبيهات، فإن ترجمة هذه الصيغ وتحويلها، هما من عمل البيان الذي يعتبر جوهر الترجمة.

لذا نكاد نجزم بأن الترجمة خطيرة ومستحيلة ولا يمكن أبدا اعتبارها حاملة للمعاني المشحونة إلي لغة أخري. وإذن ماذا تنقل الترجمة؟ هل تنقل خيانتها؟ قد يجوز هذا الأمر في اللسانين الفرنسي- والإيطالي مثلا، حيث إن كلمة Traduction لها علاقة بكل من Tradition و Trahison ؛ وهذه الكلمات الثلاث تتداخل فيما بينها من حيث النطق وتتقاطع من حيث المعنى. ذلك أن كلمة Traduction في اللاتينية تعني فعل نقل الشيء من نقطة إلى أخري. أما Traductor فهو من يقوم بهذا الفعل، وتعني Tradition نقل ومنح وأعطي، أما كلمة Trahir فتدل على التعبير عن شيء ما بطريقة غير أمينة. والمثال الذي دعم به قاموس هاشيت هذا المعني هو كون « الترجمة تخون النص ». فكلمة Tradere تفيد سلّم بالمعنى القدحي كأن نقول سلم اللص إلي الشرطة[٢٤].

أما اللسان العربي فيبدو بعيدا كل البعد عن هذا الفضاء. فهو يحصر دلالات الترجمة في: التفسير والنقل والسيرة الذاتية. فنقل فكر لغة إلي لغة أخري، هي الصيغة التي كانت سائدة يوم

تفاعل الفكر العربي مع الفكر اليوناني عبر لغة ثالثة أو أكثر، حيث برزت في هذه المرحلة أسماء المترجمين أمثال حنين بن إسحاق وغيره والذين كان يطلق عليهم اسم النقلة. ولربما كان البعد القدحي لهذه الكلمة، وراء سوء فهم ذلك التلاقح الحضاري الذي حصل أثناء خلافة المأمون، حيث ساد فهم الترجمة باعتبارها نقلا ليس إلا ولطالما عانينا من هذا الموقف الاستشراقي، الذي أوضحت الأيام خطأ تقديره وتحيزه لمركزيته الأوروبية.

من جهة أخري؛ نجد في القاموس أن الترجمة سيرة ذاتية تحدد مجرى حياة هذا الشخص أو ذاك: ولادته، ظروف نشأته، مناقبه وتراجمه؛ وهي أقرب إلى العبارة اللاتينية Curriculum Vitae الترجمة تفسير، ذلك هو البعد اللغوي العميق للكلمة في اللسان العربي، حيث لا نعثر علي مثيله في اللغات الأخري التي نعرفها، ففي « المعجم الوسيط » مثلا، يحدد فعل الترجمة كما يلي: ترجم الكلام أي بينه ووضحه. من هنا يجوز لنا القول بأن « روح » كلمة « ترجم » تجد تعبيرها في التفسير: التفسير كتوضيح وتبيان وكشف. وبذلك تكون الترجمة عبارة عن بيان.

وعلي مستوى آخر، حاول دولوز - غاتاري أن يفاضلا بين الفيلسوف الغربي والحكيم المشرقي، فكان الأول حسبهما يفكر من خلال المفهوم ومشتقاته. في حين كان الحكيم يفكر من خلال الصورة[٢٥]. وهو الموقف ذاته الذي سبق لهايدجر أن تساءل حوله قائلا:

« ما معنى الحكمة؟ هل هي معرفة الحكماء القدامى؟ ماذا نعرف عن هذه المعرفة؟ إنها معرفة النظر، لكن نظرها يتم بعين الجسد أقل مما تعود حالة السمع إلى الأذن »[٢٦]. والحال أن « الصورة » و« النظر » بالمعنى الرشدي، من المفاهيم البلاغية والبيانية. وإذا ما سلمنا بأن الحكيم المشرقي يتأمل من خلالهما، فإن الروح المشرقية سيكون لها ما يميزها ويشكل خصوصيتها.

إن الترجمة هي عبارة عن مسؤولية « وهي ليست فقط مسؤولية إزاء النص المترجم وحده، وإنما إزاء اللغة ذاتها التي تجد في الترجمة فرصتها الكبري في أن تزداد ثراء وتبتعد قليلا عن نفسها، وكأن لسان حالها يقول: من ترجمة إلى أخرى أراني أكبر »[٢٧].

الترجمة تعبير عن بلاغة الثني، فهي تلهو وراء إجلاء ثنايا المدلول وتبحث عن أوله حتى يتسنى لها تأويل ذلك التصور الذهني الذي نسميه المعنى. وإذا ما كان المعنى هو جوهر الشيء وبعده العميق، فإنه سيكون قابعا وراء الكلمات والسطور. وإذن فإن بلاغة الثني هي ميتافيزيقا تبحث عن معني لا وجود له علي المستوى الواقعي والحرفي والخطي، إنها تسعى بالأخرى إلي استخراجه أي تحويله وتصعيده. لكن جوهر الترجمة سيبقي منعزلا فى الظل، غائبا لأطول مدة ممكنة. سيظل بمثابة القوة المحركة لها، مثله في ذلك مثل البنية القبلية أو اللاشعورية التي توجه الفكر وتتحكم فيه. لقد كان الإغريقيون يقولون:« كلما انفتح الشيء مبكرا ومارس قوته، كلما تأخر في البروز أمامنا »وتلك هي وضعية الترجمة في بلادنا العربية. فهل نحن في حاجة إلى الترجمة؟ وما علاقة الترجمة بالروح العربية؟.

في الواقع، لن تقوم لنا قائمة ما لم نتعرف بما فيه الكفاية علي الغير، ما لم نقرأ ونترجم ونؤول الآخر. لكن هذا الأخير سيسحقنا ويهيمن علينا ما لم نملك ذاتا قائمة بذاتها، تمتلك « روحا »

خاصة بها، نطلق عليها « نحن ». ولكي تتأكد أصالتنا وتتعزز وجب علينا إبراز تلك « النحن » بمكوناتها المتعددة والتضخيم من شأنها إلي حدود النرجسية[٢٨]. فكل نرجسية هي المدخل إلى بناء الذات، كما أن تجليها الروحي يبرز من خلال اللغة. فـ« بمقدار ما يتكلم المرء لغة ما، بمقدار ما يفكر » [هايدجر] ذلك أن لكل لغة كلماتها التي لا تقبل الترجمة، ومثل هذه الكلمات هي المعبرة عن روح اللغة ونرجسيتها.

لقد كان هايدجر يجمع بين أوروبا والفلسفة، بين يقظتها ومسؤولية السؤال: السؤال الأصلي للأسس، ويقصد به سؤال الوجود [الأنطولوجيا]. وكان هوسرل يتساءل عن الوجه الروحي لأوربا، محطما كل الحدود الجغرافية أو الترابية، معلنا عن وحدة الحياة ووحدة الفعل ووحدة الخلق الروحي. أما فيخته فقد عبر عن الأمر صراحة حينما قال: « من يفكر ويطمح إلي الروحانية في حريتها وفي تقدمها الأبدي، فهو حقا ألماني »[٢٩].

وتبدو نرجسية هايدجر المتمركزة حول ذاتها، حينما سيعتبر بأن اللغتين الألمانية واليونانية هما اللغتان القويتان والأكثر روحانية من أية لغة أخرى: « حتى الفرنسيون يؤكدون لي ذلك، فهم حينما يفكرون يتكلمون اللغة الألمانية، لأنهم لا يستطعيون التفكير من خلال لغتهم »[٣٠].

إن يقظة أوروبا تكمن في الثلاثية التالية: مسؤولية الشعب، سؤال الوجود الذي يواجه الفكر وسؤال اللغة. وماذا عن يقظتنا نحن الذين لا يقظة حقيقية لنا؟ إننا نعتقد بأنه لن تقوم لنا قائمة بدون إرادة سياسية، إرادة يتحمل مسؤوليتها لا الدولة فقط، وإنما المجتمع المدنى أيضا.

الهوامش :

١- جاك دريدا: هايدجر والقضية، عن الروح وأبحاث أخرى. فلاماريون ١٩٩٠.

٢- مارتن هايدجر: ما هو الشيء؟ غاليمار ١٩٧١، ص ٨١.

٣- ابن منظور: لسان العرب، باب التاء، ج ١٢.

٤- بلانشو: الفضاء الأدبي، ص ٩.

٥- ج. دريدا: هايدجر والقضية، مرجع مذكور، ص ١٣٨- ١٣٩، ١٠١، ١٨٢.

٦- نفسه، ص ١٢، إن الوجود من خلال فعل الكينونة، لا يظهر في اللغة العربية. فهو ثني- غياب، يحتاج أن يتأمله المرء كإشكالية ويكشف عن كل أبعاده وثناياه.

٧- المرجع ذاته، ص ٨١.

٨- هذا ما قصدناه وقمنا به، بخصوص كلمة Difference [اختل] (١) [ف]، حينما وضعنا الألف بين مزدوجتين. انظر، سارة كوفمان- روجي لابورت، مدخل إلى فلسفة جاك دريدا: ترجمة إدريس كثير- عز الدين الخطابي، دار إفريقيا الشرق، ط. ١، ١٩٩١، ط ٢، ١٩٩٤، ص ٣٧، وما يليها.

٩- م. هايدجر: كانط ومشكل الميتافيزيقا، غاليمار، ١٩٥٣، ص ٢٥٦.

١٠- محمد عابد الجابري: المدرسة الفلسفية في المغرب والأندلس، مشروع قراءة جديدة لفلسفة ابن رشد، أعمال ندوة ابن رشد، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٧٨، ص ١١٧.

١١- ج. دريدا: مواقف، مينوي، ١٩٧٢، ص ١٠٧.

١٢- ذكره دريدا في مؤلفه « هايدجر والقضية »، مرجع سابق، ص ١٠٧.

١٣- م. هايدجر: أليتياAléthéia ، في أبحاث ومحاضرات، غاليمار، ١٩٥٨، ص ٣١٧.

١٤- ج. دريدا: الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال، البيضاء، ١٩٨٨، ص ٤٥.

١٥- ج. دريدا: مواقف، نفس المعطيات، ص ٣١. وهو ما يدعوه امبرطو إيكو بـ« تعدد المدلولات المتعايشة في دال واحد ». انظر مقدمة كتاب « العمل المنفتح »، منشورات بوان، ص ٩.

١٦- ج. دريدا: مواقف، نفس المعطيات، ص ٣١.

١٧- م. هايدجر: أبحاث ومحاضرات، مرجع سابق، ص ٢٩٩.

18- J.SERRIDA, Psyché, invention de l'autre Galilée, 1987, p. 220.

١٩- يشير بول فاليري بهذا الصدد، إلى أنه ليس هناك معنى حقيقي للنص.

٢٠- ج. دريدا: هايدجر والقضية، مرجع سابق، ص ٢٢١.

٢١- ي. هابرماس: المعرفة والمنفعة، غاليمار، ١٩٧٦، ص ٢٥٠.

٢٢- س. فرويد: الحلم وتأويله، ذكره هابرماس، المرجع السابق، ص ٢٥٢.

٢٣- ي. هابرماس: المرجع السابق، ص ٢٥٤.

٢٤- في السياق ذاته، يجمع دريدا بين كلمتي Traduction و Trahison في جملة واحدة، وهو ليس بالأمر العارض ولا البريء، حيث يقول:

Cette détermination representative, (l' écriture represente le langage), outre qu' elle communiqué sans doute essentiellement avec le signe, ne traduit pas un choit ou une evaluation, ne trahit pas une presupposition psychologique ou métaphysique propre; elle décrit ou plutot refléte la structure d' un certain type d' écriture... Cf. De la Grammatologie, ed. De minuit, 1967,p.46.

٢٥- جيل دولوز - فليكس غاتاري: ما هي الفلسفة؟ منشورات مينوي ١٩٩١، ص ٨.

٢٦- م. هايدجر: أبحاث ومحاضرات، مرجع سابق، ص ٢٦٢- ٢٦٣.

٢٧- ج. دريدا: الكتابة والاختلاف، مرجع سابق، ص ٤٥، وللمزيد من التفاصيل انظر:

- J. Derrida, psyché, op. cit, pp. 211 et suivantes.

٢٨- تشير النرجسية إلى فضاء التحليل النفسي- كما هو معلوم. ورغم ذلك فنحن نستعملها في بعدها الحماسي- السياسي. المتضمن لمفاهيم الكرامة والأصالة والأمة.. إلخ.

٢٩- ج. دريدا: هايدجر والقضية، مرجع سابق، ص ٨٧.

٣٠- ج. دريدا: المرجع السابق، ص ٨٨.

* * * *